منهج نقد النص في الكتاب المقدس
عند إمام الحرمين
أبي المعالي الجويني

إعداد

د/ عادل أمين حافظ فرج

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أنزل كتابه بالحق، وتَكَفَّل تعالى بحفظه من أيدى العابثين والمحرفين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر:٩)، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، بلَّغ رسالة ربه فأحسن تبليغها، وأدى أمانة الدعوة فأحسن أداءها، فَصَلِّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فحينما تعبث الأيدي بالتراث الفكري والإنساني لأية أمة، تُشْحَذ الهمم للتصدي لذلك، وهذا مما لا بأس به، بل هو جهد مشكور في مواجهة ذلك العبث. فإذا ما كان الأمر متعلقا بالوحي الإلهي، فامتدت إليه أيدي التحريف؛ كان التصدي لذلك - بكل ما أوتيت الأمم من قوة - واجبا، لاسيما وقد جاء الوحي الإلهي مرشدا ومعلما ومنجيا للمؤمنين به في الدارين.

وقد كان ذلك لزاما على الأمتين اليهودية والمسيحية التصدي لتلك التحريفات، حينما عبثت أيدي أحبارهم وقساوستهم بكتبهم المقدسة، إلا أنهم تقاعسوا عن ذلك؛ فأضحوا غير أمناء على ما استؤمنوا عليه، مما أدى إلى خللٍ في معتقداتهم، وانحرافٍ في عبادتهم، ناهيك عما لحق بسلوكياتهم من انحلال أخلاقي، تدنت فيه إنسانيتهم إلى مستوى الحيوانية، وصدق الله إذ يقول: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ

وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ (سورة الجمعة: الآية ٥)، ينسحب الأمر كذلك على المسيحيين، الذين لم يلتزموا بالحفاظ على صحيح وحيهم من أيدي المحرفين، فصاروا مثلهم في انحراف العقيدة والعبادة والسلوك.

وقد كان القرآن الكريم سبَّاقا إلى فضح تحريفات أحبارهم وقساوستهم لكتبهم السماوية؛ قال تعالى: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ سورة البقرة: الآية٧٥).

ولما كان المسلم مأمورا ببيان ذلك الانحراف وما ترتب عليه من فساد لا سيما في المعتقدات، قياما بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وتبرئة لساحة الوحي الإلهي من تحريفات المبطلين؛ تصدَّر فريقٌ من علماء المسلمين جانب إثبات تلك التحريفات.

أهمية البحث:

وقد كان إمام الحرمين أبو المعالي الجويني – رحمه الله – واحدا ممن قاموا بذلك الواجب، فوقف مفندا لما طرأ على الكتاب المقدس – عند اليهود والنصارى – من تحريفات تمجُّها الأسماع والفطر السليمة، فضلا عن العقول الصريحة؛ واستطاع أن يبرهن على أن كتابهم الذي يقدسونه يحمل بين جنباته دلائل هدمه وبطلان قدسيته المزعومة؛ فصار بذلك رائدا من رواد منهج نقد النص الديني في

القرن الخامس الهجري(١)، متقدما على علماء الغرب الذين خاضوا التجربة ذاتها – مع مطلع القرن السابع عشر الميلادي(٢) – فاستفادوا منه ومن غيره، "لكن للأسف كسائر الكتب الغربية تجاهلوا ذلك"(٣)؛ فافتقدوا بذلك الأمانة العلمية.

أهداف البحث:

١- الوقوف على طريقة استخدام الجويني لمنهج نقد النص في التعامل مع نصوص الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى.

٢- إبراز ما لحق بكتابهم الذي يقدسونه – من خلال منهج نقد النص – من تحريف وتبديل، وما ترتب عليه من فساد في المعتقد وانحلال في الأخلاق.

٣- القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وتبرئة ساحة الوحي الإلهي من تحريفات المبطلين.

١- لا يمكن إنكار الدور الذي قام به الإمام ابن حزم الأندلسي في ذلك .انظر الدراسة القيمة التي قام بها الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي بعنوان: منهج نقد النص بين ابن حزم واسبينوزا ، الناشر/ دار الفكر العربي بالقاهرة ، بدون تاريخ.

٢- انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس(دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي)، د/ يوسف الكلَّام، دار صفحات للدراسات والنشر بدمشق ، ط١/ ٢٠٠٩م، ص١٦.

٣- إسهامات المسلمين في تطور حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب(ابن حزم نموذجا)، د/ يوسف الكلَّام، مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة بجدة (العدد الثاني – السنة الأولى – سبتمبر ٢٠١٠م)، ص٨٧.

منهجية البحث:

يلتزم البحث المنهج الوصفي، فيكشف – منهج نقد النص عند الجويني – من خلال نصوص التوراة والأناجيل ذاتها وما فيها من تناقض واختلاف ، وسوقه الدليل على بطلانها، وما يتبعه من إثبات بطلان قدسيتها من جانب، وتبرئة ساحة الوحي الإلهي من هذه الاختلافات وتلك التناقضات .

محتوى البحث :

وقد جاء محتوى البحث في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة:

المبحث الأول : الإمام الجويني حياته ونشأته العلمية.

المطلب الأول : اسمه وكنيته ولقبه.

المطلب الثاني : مولده ونشأته.

المطلب الثالث : شخصيته ومكانته العلمية.

المطلب الرابع : آثاره العلمية.

المطلب الخامس : وفاته.

المبحث الثاني : منهج نقد النص للتوراة عند أبي المعالي الجويني

المطلب الأول : التوراة، تعريفها ومراحل تدوينها.

المطلب الثاني : منهج نقد النص للتوراة عند أبي المعالي الجويني.

المبحث الثالث : منهج نقد النص للإنجيل عند أبي المعالي الجويني

المطلب الأول : النقد الخارجي لنصوص الأناجيل.

المطلب الثاني : النقد الداخلي لنصوص الأناجيل.

الخاتمة : نتائج البحث.

المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات.

والله تعالى أسأله الهداية والتوفيق ، عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

المبحث الأول
الإمام الجويني : حياته ونشأته العلمية

المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه:

١ـ اسمه ونسبه :

هو أبو المعالي عبد المالك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف ابن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني النيسابوري(١).

ينسبه البعض إلى جوين من قرى نيسابور؛ فيقال له الجويني(بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها)(٢)، ويبدو أنه قد ورث هذه النسبة عن أبيه؛ لأنه لم يُذكر عنه أنه وُلد أو عاش ومات بها (٣). أما نسبته إلى نيسابور؛ فلأنه ولد وعاش بها (٤).

١- انظر كلا من: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر، ط/ دار الفكربدمشق،ط٢/ ١٣٩٩ه، ص٢٧٨-٢٨٥.سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق :شعيب الأرنؤوط- محمد نعيم العرقسوسي، ط/ دار الرسالة،بيروت،ط١١/ ١٩٩٦م، ج١٨/ ص ٤٦٨-٤٧٧.

٢- انظر: الأنساب لعبد الكريم السمعاني، تحقيق:عبد الرحمن بن المعلمي اليماني وآخرين، الناشر/ دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد بالهند،ط١/ ١٩٧٧م،م٣/ ص٤٢٨-٤٢٩.

٣- انظر كلا من: الجويني إمام الحرمين، د/ فوقية حسين محمود، (سلسلة أعلام العرب، العدد٤٠)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالقاهرة،ط١/ ١٩٦٥م، ص١٣.إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، د/ عبد العظيم الديب، الناشر/ دار القلم،الكويت،ط١/ ١٩٨١م، ص٢٤.

٤- انظر:الإمام الجويني إمام الحرمين، د/ محمد الزحيلي، (سلسلة أعلام المسلمين، العدد٢٦)، الناشر،دار القلم بدمشق،ط٢/ ١٩٩٢م، ص٤٢.

٢ ـ كنيته ولقبه:

يكنى بأبي المعالي، وهي كنية تدل على ارتفاع قدره وعلو همته ومنزلته.(١)

ولُقِّب بإمام الحرمين، وقد اختلف في سببه، فيرجعه البعض إلى أنه لما خرج إلى الحجاز، جاور بمكة أربع سنين، وبالمدينة يدرس ويفتي، ويجمع طرق المذهب فقيل له إمام الحرمين (٢). بينما يرى آخرون أن السبب في ذلك كونه إماما في العلم لخراسان والعراق (٣).

المطلب الثاني
مـولده ونشـــأته

وُلِدَ الإمام الجويني في الثامن عشر من شهر المحرّم سنة أربعمائة وتسع عشرة للهجرة، واعتنى به والده من صغره، وحرص على أن لا يطعمه ما فيه شُبهة، فلم يُمازج باطنه إلا الحلال الخالص. وكانت نشأته في بيت علم وصلاح وفضل؛ فأبوه كان إمام عصره في الفقه والتفسير في "نيسابور"، قرأ الأدب على والده يوسف الأديب بجوين، وبرع في الفقه وصنّف فيه التصانيف المفيدة، وشرح المزني شرحا

١- انظر كلا من: دمية القصر وعصرة أهل العصر لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي ت/ ٤٦٧هـ، تحقيق ودراسة : د/ محمد ألتونجي ، الناشر/ دار الجيل، بيروت، ط١/ ١٩٩٣م، ج٢ / ص١٠٠٠. طبقات الشافعية للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج٥/ ص١٦٥:٢٢٢.

٢- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، ط/ دار الفكر، بيروت، ج٣/ ص ١٦٨.

٣- انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٥/ ص١٧٣.

شافيا، وكان ورعا دائم العبادة شديد الاحتياط مبالغا فيه. توفي والده وعمره نحو العشرين وهو مع ذلك من الأئمة المحققين فأُقعد مكانه في التدريس، فكان يدرّس ثم يذهب بعد ذلك إلى مدرسة البيهقي، حتى حصّل الأصول عند أستاذه أبي القاسم الإسكاف الإسفراييني(١)، وكان يواظب على مجلسه حتى قال فيه عبد الغافر الفارسي: كان يصل الليل بالنهار في التحصيل.(٢)

وأما عمه فهو "علي بن يوسف الجويني" المعروف بشيخ الحجاز، كان فيما حكاه ياقوت في معجمه: صوفيا لطيفا رقيقا، مشتغلا بالعلم والعبادة والحديث ، صنف كتاب في علوم الصوفية سماه " كتاب السلوة " ، ومات بنيسابور عام (٤٩٣هـ).(٣)

أما جده فكان أديبا مرموقا نعرف هذا مما ساقه ياقوت الحموي وهو يترجم لوالد الإمام حيث ذكر أنه قرأ عليه الأدب وهو في جوين.(٤)

ولا شك أن هذه الأسرة التي تربى في كنفها أبو المعالي، كان لها الأثرالكبير في

١- عبد الجبار بن علي بن محمد الأستاذ أبو القاسم الإسفراييني المعروف بالإسكاف، شيخ إمام الحرمين في علم الكلام، توفي في صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة من الهجرة. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، صححه وعلق عليه واعتنى بفهارسه: د/ الحافظ عبد العليم خان، ط/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، ط١/ ١٩٧٨م،ج١/ ص٢٣٨-٢٣٩.

٢- انظر بتصرف:تبيين كذب المفتري لابن عساكر، ص٢٨٠.

٣- انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ط/ دار صادر، بيروت،ط١/ ١٩٨٤م،م٢/ ص١٩٣.

٤- المصدر السابق ،المجلد والصفحة.

تكوينه النفسي والعقلي والروحي، ولا غرو أن يقول ابن عساكر بعد هذا فيه:"رباه حجر الإمامة،وحرك ساعد السعادة مهده،وأرضعه ثدي العلم والورع إلى أن ترعرع فيه ويفع".(١)

المطلب الثالث
شخصيته ومكانته العلمية

إن المكانة المرموقة التي أحرزها الإمام الجويني في عصره،والتأثير العميق الذي خلفه فيمن أتى بعده، تدعو إلى محاولة التعرف على شخصيته التي ملأت الدنيا وشغلت الناس ولا تزال.

وأول ما يلفت النظر في شخصية الجويني هو غزارة علمه وسعة معارفه وحبه للاستزادة فيه، وقد لمس جل المترجمين له هذه الميزة؛ فيذكر لنا السبكي أنه لما قدم إلى نيسابور الشيخ "علي بن فضال المجاشعي"(٢)، النحوي، الأديب، قابله إمام الحرمين بالإكرام، وأخذ في قراءة النحو عليه، والتلمذة له، بعد أن كان إمام

١- تبيين كذب المفتري لابن عساكر، ص ٢٧٨.

٢- إمام النحو ، أبو الحسن ، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، : مؤرخ، عالم باللغة والأدب والتفسير، من أهل القيروان.وأقام مدة بغزنة، وسكن بغداد، واتصل بنظام الملك، وتوفي بها. اشتهر بالفرزدقي لاتصال نسبه بالفرزدق الشاعر. ويعرف أيضا بالمجاشعي. من كتبه «الدول» أزيد من ثلاثين مجلدا، و «الإكسير في التفسير» عشرون مجلدا، و «شرح عنوان الأدب» و «شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب». توفي في ربيع الأول سنة تسعٍ وسبعين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٨/ ص٥٢٨-٥٢٩.

الأئمة في وقته، وكان يحمله كل يوم إلى داره، ويقرأ عليه كتاب "إكسير الذهب في صناعة الأدب"وكان المجاشعي يقول عنه:"ما رأيت عاشقا للعلم-في أي فنٍ كان- مثل هذا الإمام".(١)

ومن ذلك ما قيل من أنه:"كان يذكر دروسا، يقع كل واحد منها في أطباق وأوراق، لا يتلعثم في كلمة، ولا يحتاج إلى استدراك عثرة مرًّا فيهاكالبرق الخاطف بصوت مطابق كالرعد القاصف" (٢).

وقد بلغ الثناء عليه مبلغه؛ حتى قيل فيه: "هو إمام كل إمام، والمستعلي بهمته على كل همام، والفائز بالظفر على إرغام كل ضرغام، إذا تصدر للفقه فالمزني من مزنته قطره، وإذا تكلم فالأشعري من وفرته شعره، وإذا خطب ألجم الفصحاء بالعي شقاشقه الهادرة، ولثم البلغاء بالصمت حقائقه البادرة".(٣)

وتشهد جملة كتبه التي وصلتننا منسوبة إليه على صدق هذه الأوصاف، كما أنها تظهر- كذلك - امتلاكه لناصية كثير من العلوم والفنون.

ولقد أكسبته سعةُ معارفه، مع ما حباه الله من استعدادات فطرية، حريةً في الفكر واستقلالا في الرأي؛ فكان- رحمه الله- لا يلتزم إلا بالدليل ولا يخضع إلا

١- شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب لابن العماد الحنبلي ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط- محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير بدمشق، ط١/ ١٩٨٩م،م٥/ ص٣٤٠ .

٢- تبيين كذب المفتري لابن عساكر، ص ٢٧٩.

٣- المصدر السابق،ص ٢٨٢.

للبرهان، "إذ لم يرض في شبابه بتقليد والده وأصحابه، حتى أخذ في التحقيق، وجدَّ واجتهد في المذهب والخلاف ومجلس النظر، وسلك طريق المباحثة، وجمع الطرق بالمطالعة والمناظرة والمناقشة، حتى أربى على المتقدمين، وأنسى تصرفات الأولين".(١)

وإذا كان ذلك كذلك فإن هذا يعني أن الجويني قد أنزل المذاهب كلَّها منزلة واحدة من النظر والاعتبار، غير متعصب لواحدٍ منها، بحيث لا يكون عنده ميلٌ إلى مذهب معين، من غير سند، إلى أن وصل إلى الحقيقة وأدركها؛ وفي هذا المعنى يقول: "قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفا، ثم خليت أهل الاسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخِضَم، وغصتُ في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق".(٢)

كما لمس المترجمون له تواضعه ولين جانبه إذ كان "لا يستصغر أحدا حتى يسمع كلامه، ولا يستنكف أن يعزو الفائدة إلى قائلها، ويقول: استفادتها من فلان".(٣)، "وكان من التواضع لكل أحد بمحل يتخيل منه الاستهزاء لمبالغته فيه،كذلك رزقه الله رقة القلب والخشوع حتى إنه كان يبكي إذا سمع بيتا أو تفكر

١- انظر بتصرف :طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٥/ ص ١٦٩.

٢- سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٨/ ص ٤٧١.

٣- شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب لابن العماد الحنبلي، م٥/ ص٣٤٠.

في نفسه ساعة".(١)

كما أتاه الله حظا وافرا من الهيبة، وهي صفة ضرورية لمن يتصدَّوْن للتدريس، وإن أدلَّ شيء على هيبته جلوسه للتدريس وهو في سن العشرين(٢)، بعد وفاة والده مع أن نيسابور كان تغص بالأئمة الأعلام،ولقد أكسبته هذه الخصلة، وقارا في عيون تلامذته؛ لذلك كان تأثيره على تلاميذه قويا. يذكر السبكي أنه لما توفي "كسر منبره في الجامع المنيعي، وقعد الناس للعزاء أياما عزاء عاما، وأكثر الشعراء المراثي فيه، وكان الطلبة أكثر من أربعمائة نفر، يطوفون في البلد نائحين عليه، مكسرين المحابر والأقلام".(٣)

والواقع أن هذه الهيبة التي أوتيها الجويني كانت أحد أبرز عوامل نجاح دعوته؛إذ استطاع من خلالها أن يؤثر في الناس، ويسيّرهم بها طائعين منقادين على قناعة واختيار.

وإلى جانب هذه الصفات الأساسية التي تكوّن شخصية إمام الحرمين، فإننا نجد صفات أخرى أوردها المترجمون له، يزيد استجلاؤها في توضيح الصورة الكاملة لشخصيته وصفاته النفسية.يُذْكَر منها الكرم والسخاء والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من مال وجاه، ويُذكر-كذلك - أنه لم يشتغل بمالٍ له يثمره، بل كان

١- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٥/ ص ١٨٠.

٢- انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، ج١/ ص٢٧٥

٣- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٥/ ص ١٨١.

كما يقول السبكي: "ينفق ما ورثه وما كان يدخل له على المتفقهة".(١)

تلك هي شخصية إمام الحرمين التي كانت وراء عظمته، وسرّ خلوده، وهي التي بوأته المكانة الجديرة به في تاريخ أمتنا الفكري والروحي.

المطلب الرابع
آثــاره العلميـــة

لما كان الجويني عالمًا أصوليًا نظارًا محققًا بليغًا، فآثاره كثيرة ومتنوعة، شملت فنونا شتى منها :

١- علم الكلام . ٢- الفقه .

٣- علم أصول الفقه . ٤- مقارنة الأديان .

٥- علم الخلاف والجدل . ٦ - السياسة الشرعية .

وهو في علم الكلام يعتبر من فحول أئمة الأشعرية . ألف على المذهب الأشعري ثلاثة كتب :

الأول: كتاب "الشامل في أصول الدين"، وهو موسوعة ضخمة في هذا الفن عثر على جزء منه فقط، حقق أولا من طرف المستشرق "هلموت كلوبفر" في أنقرة وكان ذلك في عام ١٩٥٩م، ثم أعيد نشره سنة ١٩٦٩م، بالإسكندرية بعناية الأستاذ الدكتور علي سامي النشار مع الأستاذين فيصل بدير عون وسهير محمد مختار.

١- المصدر السابق، ج٥/ ١٧٠.

الثاني:كتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" وعليه شروح كثيرة منها شرح "لابن المرأة المعروف بابن دهاق الصوفي الأندلسي (ت٦١٦ه) وهو الآن في حكم المفقود(١) وشرح "لأبي بكر بن ميمون" وقد حقق بالقاهرة في عام ١٩٨٧ من طرف الدكتور "أحمد حجازي السقا".(٢)

الثالث: كتاب "لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة" بتحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود، ونشرته: عالم الكتب ببيروت في طبعتين: الأولى سنة ١٩٦٥، والثانية ١٩٨٧م.

وقد اختلف منهجه الكلامي في رسالته المسماة بـ "العقيدة النظامية" عنه في الكتب الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها؛ فتضمنت تلك الرسالة ما يمكن تسميته بتطور الفكر الكلامي لدي الإمام الجويني؛ إذ عدل فيها عن التأويل في المذهب الأشعري إلى مذهب السلف. وقد حُقِّقَتْ من طرف العلامة الشيخ "محمد زاهد الكوثري" وأعيد نشرُها مرارا.

ولإمام الحرمين كتاب في علم الخلاف والجدل، اسمه "الكافية في الجدل" وقد نشر الكتاب عام ١٩٧٩م في القاهرة بتحقيق الدكتورة "فوقية حسين محمود".

١- انظر: مقدمة كتاب بد العارف لابن سبعين،د/ جورج كتورة، ط/ الأندلس، بيروت، ط١/ ١٩٧٨م، ص ١٩.

٢- انظر: شرح الإرشاد لأبي بكر بن ميمون، تحقيق:د/ أحمد حجازي السقا، الناشر/ مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط١/ ١٩٨٧م.

وله أيضا كتاب في "علم مقارنة الأديان" واسمه "شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التَّبديل" وقد نشر من خلال المكتبة الأزهرية للتراث بتقديم وتحقيق وتعليق الأستاذ الدكتور أحمد حجازي السقا، سنة ١٩٧٨م.

كما يوجد للجويني في مجال الفقه "نهاية المطلب في دراية المذهب" وقد شرع في تحقيقه الأستاذ الدكتور" عبد العظيم الديب ".

أما في مجال أصول الفقه فله "البرهان" وهو من أجل كتب هذا الفن، ويقال إن مدار هذا العلم على ثلاثة كتب: العمد للقاضي عبد الجبار الهمذاني، والبرهان لإمام الحرمين الجويني، والمستصفى للغزالي، وقد حقق من طرف الدكتور" عبد العظيم محمود الديب "، وطبع عن دار الأنصار بالقاهرة عام ١٩٨٠م.

كما أن له فيه كتابا مشهورا متداولا وهو "الورقات" وعليه شروح كثيرة أهمها شرح الحطاب، وابن هدة السوسي.

أما في مجال السياسة الشرعية، فله كتاب "الغياثي" (غياثُ الأمم في الْتِياثِ الظلم) وقد حقق مرتين: إحداهما بتحقيق: د/ عبد العظيم الديب، ونشرته دار المنهاج بجدة ط١/ ٢٠١١م. والأخرى بتحقيق كلٍّ من: د/ مصطفى حلميود/ فؤاد عبد المنعم أحمد، ونشرته دار الدعوة بالأسكندرية، عام ١٩٧٩م.

والمتأمل في مصنفات الجويني يجد أن الرجل قد أحاط بثقافات عصره على اختلافها، واستطاع أن يلم بها إلماما واسعا.

وهو كفقيه ينتمي إلى الشافعية، وكمتكلم إلى الأشعرية، وهو إلى جانب تمكنه

من العلوم الشرعية متمكن أيضا من الجدل والمنطق والفلسفة.

والجويني مع ميله إلى الطريق الصوفي السنّي المتقيّد بالكتاب والسنّة، فقد أبعد عن ميدانه كلَّ أثر للنزعات الباطنية التي أرادت الكيد للإسلام عن طريق دعوى التفرقة بين الظاهر والباطن أو عن طريق التأويل المخالف لدليلي النقل الصحيح والعقل الصريح.

المطلب الخامس : وفاتــه

وبعد حياة حافلة – فقد عاش تسعا وخمسين سنة – بكل صنوف الجهد والمثابرة في طلب العلم وتدريسه والدعوة إلى الله تعالى؛ كانت وفاته في ليلة الأربعاء بعد صلاة العشاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ويذكر أنه لما توفي لم تفتح الأبواب في البلد ووضعت المناديل عن الرؤوس عاما، بحيث ما اجترأ أحد على ستر رأسه، وصلَّى عليه ابنُه الإمام أبو القاسم وتولى دفنه بداره بنيسابور (١) .

ومما قيل في رثائه (٢) :

قلــوب العــالمين علــى المقــالي وأيــام الــورى شــبه الليــالي
أيثمــر غصــن أهــل الفضــل يومًــا وقــد مــات الإمــام أبــو المعــالي

١- انظر بتصرف:طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٥/ ١٨١.

٢- تبيين كذب المفتري لابن عساكر،ص٢٨٥.

المبحـث الثانـي

منهج نقد النص للتوراة عند أبي المعالي الجويني

تجدر الإشارة أولا إلى التعريف بالتوراة وبيان أقسامها، ثم إلقاء نظرة سريعة على مراحل تدوينها؛ لأن ذلك سيساعد - من جهة - في الكشف عما لحقها من تبديل وتحريف. ومن جهة أخرى يعطى زخما وأهمية لما قام به أبو المعالي الجويني في نقدها. ومن ثم تطلب الأمر أن أجعل هذا المبحث في مطلبين؛ على النحو الآتي:

المطلـب الأول

التوراة، تعريفها ومراحل تدوينها

١ - التعريف بالتوراة(العهد القديم ومكوناته):

يطلق القرآن الكريم اسمَ التوراة على الكتاب المقدس لليهود(التناخ) (١)، أو كما يطلق عليه النصارى اسم العهد القديم. وذلك من باب تسمية الكل باسم الجزء.

والعهد القديم هو النص الأساسي الذي يقوم عليه الدين اليهودي، وهو في صورته الحالية يحتوي على ثلاثة أقسام: التوراة، الأنبياء، والكتب أو أسفار الحكمة (٢)

١- تناخ(تناكTenach): اختصارا لأسماء الأجزاء الثلاثة المكونة لأسفار العهد القديم ، وهي (ـ(ت)=توراة Tora.و(نا)=أنبياء Nebiim. و(خ)=ك= الكتب أو كتابات Ketubim). انظر: المعتقدات الدينية لدى الغرب، د/ عبد الراضي محمد عبد المحسن، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ط١/ ١٤٢١ه، ص١٠٤.

٢- انظر: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، د/ حسن ظاظا، دار القلم بدمشق، ط٤ / ١٩٩٩م، ص ١٢.

أ – التوراة:

بداية ينبغي التفرقة بين التوراة – موضوع البحث – والتوراة الربانية التي أُرسل بها موسى عليه السلام، التي وصفها ربُّنا عز وجل بأنها" الضياء والنور، والهدى والرشاد، والفرقان والبركة، وهي التي فيها أحكام الله لبني إسرائيل، وهي التي حكم بها النبيون اليهود ونفذوا أحكامها فيهم"(١)- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ (المائدة ٤٤) – والتوراة – موضوع البحث – تتألف من خمسة كتب أو أسفار (التكوين – الخروج – اللاويِّين– العدد – التثنية) ، تنسب جميعها إلى موسى عليه السلام ، وتوصف بأنها أنزلت عليه من الله في طور سيناء ، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة ، وتنتهي بوفاة موسى على جبل "نبو" في شرق الأردن حوالي سنة ١٣٠٠ق.م(٢)

الأنبياء:

يتضمن هذا القسم من العهد القديم ما وقع للعبريين من أحداث، وذلك بعد موت موسى عليه السلام ، منذ دخولهم أرض فلسطين، مع يوشع بن نون، خادم

١- حديث القرآن عن التوراة، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم للنشر والتوزيع بالأردن، ط١/ ٢٠٠٤م،ص١٥٥.

٢- انظر بتصرف: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه،د/ حسن ظاظا، ص١٤:١٦.

موسى عليه السلام وخليفته، إلى أن أخرجوا منها في السبي البابلي على يد الإمبراطور الكلداني بختنصر.(١)

ويتكون من شطرين: الأنبياء الأول، والأنبياء الآخر. والأنبياء الأول، يتألف من أربعة أسفار: الأول: سفر يوشع بن نون، وهو أربعة وعشرون إصحاحا ، تروي قصة اقتحام العبريين أرض فلسطين بزعامة يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام. والثاني: سفر القضاة، ويسرد عملية الاغتصاب الأولى التي قام بها العبريون في فلسطين. والثالث: سفر صمويل، وبه تبدأ فكرة النبوة في بني إسرائيل في التبلور بشكل واضح. والرابع: سفر الملوك وهو مكون من جزأين: الملوك الأول، والملوك الثاني. وأما الأنبياء الآخر، يحتوي على تراث القادة الروحيين الذين حاولوا بطرق شتى الأخذ بيد اليهود نحو بَرِّ السلامة في ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية حالكة، أحاط بهم أعداؤهم من كل جانب.(٢)

ج – **الكتب**:وتسمى أيضا كتب الحكمة، أو"هَجْيُوغرافيا **HAGIOGRAPHIA**"، وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي، شعرا أو نثرا. وترتيب هذه الأسفار حسب ورودها في العهد القديم هو كما يلي: مزامير داود. أمثال سليمان. أيوب. نشيد الأناشيد. الجامعة.(٣)

١- انظر بتصرف: ظاهرة النبوة الإسرائيلية، د/ محمد خليفة حسن، دار رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة،ط١/ ٢٠١٧م، ص٢٠٦-٢٠٧.

٢- انظر بتصرف: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه،د/ حسن ظاظا، ص٣٢ وما بعدها .

٣- انظر بتصرف: المعتقدات الدينية لدى الغرب، د/ عبد الراضي محمد عبد المحسن، ص ١٣٣ وما بعدها.

٢ – تدوين التوراة (العهد القديم) :

يرجع أهمية الحديث عن تدوين التوراة إلى أمرين: أحدهما معرفة اللسان الذي كُتِبَت به. والآخر المراحل التي مرت بها مرحلة التدوين. وهذان الأمران يلقيان بظلالهما على حالة التوراة عند تدوينها، فضلا عن الشك في حمايتها من التبديل والتحريف في مراحل تدوينها.

وقد مرت التوراة بتدوينات مختلفة، أثرت على لغتها وبنيتها وحجمها، بحسب الظروف والأحوال. فالتوراة القانونية والمعروفة على الساحة العالمية نسبة إلى موسى عليه السلام يمكن أن تحمل في ثناياها بعض توراة موسى عليه السلام، ولكن لا يمكن لها أن تدعي أنها توراة موسى عليه السلام أمام النقد التاريخي للكتاب، فالتوراة لم تعرف الظهور دفعة واحدة كما يريد أن يظهر التقليد الحاخامي ذلك.

أ – التدوين في عهد موسى عليه السلام

عند الحديث عن تدوين التوراة في عهد موسى عليه السلام تواجهنا إشكالية تحديد اللغة التي كتبت بها، أكانت العبرية أم الهيروغليفية أم غيرهما؟

والقول بعبرية اللسان الموسوي أمر ليس يقينيا، والسبب في ذلك يعود إلى أنه "ليست عندنا آثار عبرية مكتوبة أقدم من القرن الثامن أو التاسع على أبعد تقدير قبل الميلاد"(١). وبذلك أمكننا القول باستحالة عبرية اللسان الموسوي؛ إذ إن النصوص المتواجدة لدينا الآن تأتي متأخرة عن الفترة الموسوية، ويدخل الاحتمال

١- الساميون ولغاتهم السامية، د/ حسن ظاظا، ط/ دار المعارف بمصر ١٩٧١م، ص٦٨-٦٩.

أن العبرية لغة ناشئة بعد دخول بلاد كنعان، أي بعد موت موسى عليه السلام.

ولعل الاحتمال الراجح أن اللغة التوراتية كانت مصرية(أي الهيروغليفية) ؛ وذلك للأسباب الآتية:

١ – تربية موسى عليه السلام ونشأته في بيت فرعون يعزز القول بمعرفة موسى عليه السلام للغة المصرية ؛ إذ كانت لغة التخاطب بينه وبين فرعون وآل بيته.

٢ – أن الدعوة الموسوية كانت موجهة في جزء منها إلى فرعون وشعبه ، ولا تكون الدعوة إلا بلغة يفهمها من وُجِّهَتْ إليهم، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف١٠٣). ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (يونس٧٥).

٣ – أن بقاء بني إسرائيل في مصر مدة ٤٣٠ سنة، وهي ما يعرف بزمن الغربة، يؤيد معرفتهم باللغة المصرية (الهيروغليفية)، وبذلك تكون لغة التخاطب بين بني إسرائيل والمصريين هي الهيروغليفية.بل إنها كانت لغة التخاطب ما بين اليهود عندما جاءوا إلى فلسطين بقيادة موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.(١)

ب – التدوين في عهد الملكية

التدوين افي عهد الانتصاب السلطوي اليهودي في فلسطين، يمكن أن يقسم

١- انظر بتصرف: أبحاث في اليهودية والصهيونية، د/ أحمد سوسة، دار الأمل للنشر والتوزيع بالأردن، ٢٠٠٣م، ص٣٤.

إلى مرحلتين: إحداهما في عهد القضاة والاستقرار الملكي. والأخرى في عهد التشتت السياسي وانقسام البلاد إلى مملكتي يهوذا وإسرائيل.

المرحلة الأولى: كان شغلها الشاغل البناء السياسي والحضاري للدولة اليهودية؛ إذ إن فترة القضاء مثلت تجانسا مع الطابع الحضاري القبلي والرعوي الذي كان فيه اليهود. فالقضاء كسلطة سياسية يغلب عليها الطابع الديني؛ إذ كان في مستوى الإحداثيات الاجتماعية التي ينتجها مجتمع لم يبلغ بعد درجة مهمة في التعقيد. وهذا الشكل السياسي الديني بقي ما يناهز القرن، وهي فترة حكم أنبياء الله طالوت وداود وسليمان عليهم السلام. وقد كانت التوراة في تلك الفترة في مأمن من التحريف والتبديل. يؤكد ذلك قول أحدُ الباحثين: "ولنا أن نرجح أن اليهود قد حافظوا على التوراة خلال عهد القضاة وعهد طالوت وداود وسليمان؛ لأنهم كانوا متمسكين نسبيا بديانتهم تحت قيادة الأنبياء الصالحين".(١)

المرحلة الثانية: وهي الفترة التي أعقبت الفترة الملكية، وفي هذه المرحلة عرفت التوراة تطورا جديدا، فكانت فترة الانقسام والتناحر، وهو ما ألقى بظلاله على التوراة؛ إذ حاولت كل من دولتي يهوذا وإسرائيل أن تكون القطب الديني والمركز اللاهوتي، الأمر الذي جعل كلَّ واحدة منهما تسعى لإرساء كتاب مقدس خاصٍ بها، تقوم على جمعه وتكوينه بما يحقق أهدافها وتطلعاتها.

١- حول موثوقية الأناجيل والتوراة، د/ محمد السعدي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ١٩٨٦م، ص١٠١.

وعليه زيدت في التوراة – في تلك المرحلة – أمورٌ ليست منها، وحُذِفَ منها أشياءٌ تتعارض مع طموحات تلك الدولتين؛ فالمصدر الألوهيمي حسب تحليل مدرسة المصادر أرجع انتاجه إلى مملكة إسرائيل. في حين أن المصدر اليهوي نسب انتاجه إلى مملكة يهوذا. وطبع كل من المصدرين بسمات عبرت عن خلافات عقدية ودينية وفكرية.(١)

ج – التدوين زمن السبي البابلي

عرفت الدولة العبرية الانهيار السياسي الذي بلغ مداه مع السبي والترحيل إلى بابل (٢)، وهو ما كانت له انعكاساته السيئة على النفسية اليهودية. وكذلك على الدين الذي أراده القضاة والأنبياء نبراسا تهتدي بشرائعه الجموع اليهودية؛ فاندرست معالمه وتهاوت تعاليمه.

ولقد كان السبي البابلي عاملا مهما لإعادة تدوين الكتاب المقدس(٣)؛ إذ إن المرحَّلين الإسرائيليين وجدوا أنفسهم في بابل إلى جانب مجموعات دينية مغايرة تعبد آلهة مختلفة، فلم يكن بدعا أن تعيد ترتيب بيتها الديني، وتسعى لجمع ما تبقى

١- انظر يتصرف: علاقة الإسلام باليهودية(رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)،د/ محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة ، ١٩٨٨م، ص٤٧ – ٦٠.

٢- انظر في ذلك: حقيقة السبي البابلي(الحملات الأشورية على الجزيرة العربية واليمن)،د/ فاضل الربيعي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع بالكويت، ط٢/ ٢٠١٣م،ص١٣ وما بعدها.

٣- انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، د/ يوسف الكلَّام، ص٧١.

في الذاكرة من قصص الآباء وشرائع الأولين. وربما تطور ذلك إلى انتاج طقوس جديدة في غياب القضاء التعبدي الإلهي.

فقد واصل كهنتهم أعمالهم الدينية المتعلقة بتحرير الكتاب المقدس والتمهيد لتدوين التلمود البابلي؛حتى ليقال: "إن السبي البابلي كان عاملا قويا في تطوير الديانة اليهودية في القرون التي تلي".(١)

وتتسم مرحلة تدوين الكتاب المقدس اليهودي بمحاولة الخروج من الطابع الأخلاقي الذي يحكم التعاليم والوصايا اليهودية، التي نشأت داخل مجال صحراوي وطابع ترحالي – فترة التدوين في عهد موسى عليه السلام – إلى طابع تشريعي قانوني يعبر عن دور حضاري أرقى وأعقد، يمتاز بالإقامة والثبات المكاني. (٢)

د – التدوين زمن ما بعد السبي البابلي

ساهمت فترة ما بعد السبي في الإضافة والحذف من كتاب اليهود المقدس؛ وهو ما يدعونا إلى القول بأن الكتاب المقدس عند اليهود وقع تشكُّلُه عبر التاريخ، حيث ساهمت عناصر ودوائر مختلفة في صياغته حتى بلغ شكل التوراة القانونية الحالية. فعزرا الذي تنسب إليه التوراة القانونية لم يكن سوى منسق لمادة متناثرة بين الطوائف والعقول، استعمل كسابقيه آلة الحذف والإضافة، وربما تأتي خطورة

١- العرب واليهود في التاريخ(حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية)، د/ أحمد سوسة، دار العربي للإعلان والنشر والطباعة بدمشق، ط٢/ ١٩٧٣م،ص١٥٨.

٢- انظر بتصرف: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب،د/ عبد الرزاق محمد أسود، ط/ صفحات الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١/ ١٩٨١م، م١/ ص١٥٩.

العملية العزراوية أنه يقبع في آخر السلسلة المرمَّمة للنص التوراتي.(١)

يحتل عزرا مكانة مرموقة عند اليهود؛ "فقد عدوه نبيا لا يقل مكانة عن موسى عليه السلام " (٢). وقد عزى لعزرا إدخال الجانب القومي في اليهودية، ودفعه الألوهية نحو الخصوصية العبرية، دون نشرها بين شعوب أخرى. ومع عزرا وبطانته كان الزيغ بالتوراة عن أهدافها السامية من عقيدة وشريعة وأخلاق؛ فكان تساقطها إلى مهاوي عنصرية تعصبية.(٣)، يقف على هذه العنصرية البغيضة كلٌّ من طالع سفر عزرا (٤) وكذلك أسفار نَحَمْيَا وإشعياء وإرميا وحزقيال (٥)، ففيها المزيد من "الوصايا والمواقف التي تحض على الانعزال والتعصب والعنصرية".(٦)

١- انظر: ندوة التراث والتوراة، د/ محمد محفل، (مجلة المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد بالجمهورية العربية السورية، (السنة الثالثة والعشرون، مارس ١٩٨٤م،العدد ٢٦٥)، ص٨٥.

٢- التوراة (ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام)،تحقيق وتقديم د/ سهيل زكار،دار قتيبة للنشر والتوزيع بدمشق، ط١/ ٢٠٠٧م،ص٧٠.

٣- انظر بتصرف: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د/ إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة بالقاهرة،١٩٨٨م، ص٩٥.

٤- انظر سفر عزرا : (الإصحاح التاسع. الإصحاح العاشر).

٥- انظر: الكتاب المقدس(العهد القديم): سفر نَحَمْيَا: (الإصحاح العاشر .الإصحاح الثالث عشر). سفر إشعياء :(الإصحاح: ٤٩-٥١-٦٠-٦١).سفر إرميا (الإصحاح:٣٠-٣١-٣٢-٣٣). سفر حزقيال(الإصحاح:١١-٣٧- ٣٩).

٦- اليهودية بين النظرية والتطبيق(مقتطفات من التلمود والتوراة)،د/ عليخليل،منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق،١٩٩٧م،ص٩٤.

وبناء عليه – ومن خلال هذه الإطلالة السريعة على مراحل تدوين التوراة – يتضح أن التوراة الحالية هي نتاج عمل بشري قام به أحبار اليهود وبعض علمائهم معتمدين في غالب الأمر على مصادر شفهية تناقلوها وتوارثوها بينهم زمنا طويلا. فضلا عما تطمح إليه نفوسُهم من حب الرئاسة والتنازع على شهوات الدنيا.

المطلب الثاني

منهج نقد النص للتوراة عند أبي المعالي الجويني

يعد هذا المنهج نموذجا تطبيقيا واضحا على تقدم المسلمين في مجال نقد النصوص القديمة، ومحاولة التحري فيها عن طريق استخدام مجموعة من القواعد العلمية التي تتآزر كلها بغية الوصول إلى نتيجة محددة.

ومن الجلي في مناهج البحث الحديثة أن نقد النصوص يندرج في إطار البحث التاريخي ولقد توصل المسلمون إلى كل ما توصل إليه علماء مناهج البحث التاريخي من نقد النصوص الداخلي والخارجي، كما عرفوا طرق التحليل والتركيب التاريخية، وفحص الوثائق، ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف (١).

وقد سبقت جهودَ إمام الحرمين الجويني في تطبيق منهج نقد النص على نصوص التوراة جهودُ علماء مسلمين كابن حزم الأندلسي، الذي يعد بحق رائد الدراسات النقدية للتوراة (٢). وقد استفادوا جميعهم من القرآن الكريم الذي أتى

١- انظر بتصرف: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، د/ علي سامي النشار، ص ٣٤٩.

٢- ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، د/ إبراهيم أحمد الديبو، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، (المجلد الثالث والعشرون – العدد الثاني ، ٢٠٠٧م) ، =

بنظريتين أساسيتين وهاتان النظريتين: أحدهما نظرية التحريف والتبديل. والأخرى نظرية تعدد المصادر؛ فكانت هاتان النظريتان عمادَ النقد الإسلامي، وأصبحتا فيما بعد عماد النقد الغربي في عصريه الوسيط والحديث.

ويأتي كتاب (شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل) (١) لإمام الحرمين شاهدا على جهده في تطبيق منهج نقد النص الديني، وهذا الكتاب يندرج ضمن فن الردود أو علم الردود، وهو منهج كلامي في رد شبه الخصوم من أتباع الأديان الأخرى، وأيضا إثارة شبه حول عقائدهم وكتبهم، وما وقع فيها من تحريف وتبديل.

تناول الكتاب مسألة إثبات التبديل في كتب اليهود (التوراة) وكتب النصارى (الأناجيل). وذلك بحجج وأدلة ساقها المؤلف في ثنايا الكتاب.

وأما فيما يتعلق بنقد التوراة، فالملاحظ أنه يسوق نقده لها من جانبين:

الجانب الأول: النقد الخارجي لنصوص التوراة:

يتعلق النقد الخارجي بأمرين: أحدهما عدد نسخ التوراة، والآخر بشري يتعلق بالنساخ وتعدد الوسائط. وهذان الأمران يدعوان إلى ضرورة تطبيق منهج

= ص٤٣٥.وانظر كذلك كلا من: منهج النقد التاريخي عند ابن حزم (نموذج من نقد توراة اليهود)، د/ حامد طاهر، ص٦١١. مناهج نقد العهد القديم عند الغرب(النقد المصدري أنموذجا)، د/ أسماء وردي، دار صفحات للدراسات والنشر بدمشق، ط١/ ٢٠١٦م، ص٥٧.

١- سأعتمد بعد – فضل الله تعالى – على النسخة التي نشرتها المكتبة الأزهرية للتراث بتقديم وتحقيق وتعليق الأستاذ الدكتور أحمد حجازي السقا ، سنة ١٩٧٨م.

نقد النص .(١)

الأمر الأول: عدد نسخ التوراة.

إن تعدد نسخ التوراة، واختلاف تواريخها وتباعدها أمر يثير الشك حول صحة تلك النسخ كلها، لاسيما إذا فرض أن سيدنا موسي عليه السلام عاش في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأن أقدم نسخة مخطوطة كاملة للتوراة تعود إلى القرن العاشر الميلادي وبعده (٢) .

ومما لا شك فيه أن الجمع بين النقيضين أمرٌ تحيله العقول الصحيحة والفطر السليمة، فإذا اعتقد شخصٌ ما بالرأي ونقيضه، يصبح الرأي ونقيضه واهيين، وصاحبهما موصوفا بالجهالة. وهو حال اليهود والنصارى مع نصوصهم التي يقدسوهما، فيبدأ الإمام الجويني حديثه عن تحريف التوراة والإنجيل ووقوع التبديل فيهما بما يأتي:

١ – أن اليهود والنصارى متفقون على وقوع التبديل في كتبهم.

٢ – أنهما– كذلك – متفقون على عدم إمكانية وقوعه.

وملخصه كما يقول الجويني: "فقالوا: القول بوقوع التبديل مشروط بإمكانه

١– انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، د/ يوسف الكلَّام، ص٣٠.

٢– انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبع ونشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ط١/ ١٩٨٩م، ج٢/ ص٦١٧.

، وإمكانه مشروط بتعلق العلم بحصر نسخ التوراة والإنجيل المبثوثة في أقطار الأرض مع اتساع خطتها ومشروط أيضا بانقياد كل فرد (أي من اليهود والنصارى)... على رأي واحد ومقالة واحدة، مع تباين الآراء واختلافها.(١)

ولما كان حصر كل نسخ التوراة والإنجيل الموجودة في أنحاء الأرض – لإثبات التباين والاختلاف الواقع بينهما – غير ممكن.

ولما كان اتفاق كل من اليهود والنصارى - على اختلاف مستوياتهم - على أن وقوع التبديل بالتوراة والإنجيل غير ممكن كذلك .

وعليه فإن اليهود والنصارى يبنون على كلتا المقدمتين السابقتين نتيجة مفادها: عدم إمكان إثبات وقوع التبديل في التوراة والإنجيل.

ثم يشرع الإمام الجويني في مناقشة حجج اليهود والنصارى على عدم إمكانية إثبات التبديل والتحريف اللذين وقعا في التوراة والإنجيل، من خلال مناقشة المقدمات قبل مناقشة النتيجة، وهو الأمر الواجب اتباعه قبل التسليم بنتيجة تلك المقدمات؛ فيقول - رحمه الله -: "إن أكثر العمايات في العلوم، إنما جاءت من أخذ الحجج مُسَلَّمة من غير امتحان الفكر، وتدقيق النظر في تصحيح مقدماتها".(٢)

ثم يسوق الإمام الجويني الحجج التالية على إمكان وقوع التبديل:

١- شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للجويني، تقديم وتحقيق وتعليق: د/ أحمد حجازي السقا، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث، ط١/ ١٩٧٨م، ص٣٠.

٢- المصدر السابق، ص٣١.

- أن التوراة الأصلية قد ضاعت في القرن السادس قبل الميلاد، بعد قتل "نبوخذ ناصر" لجموع اليهود وطوائفهم وتدمير مملكتهم، وسبيهم إلى بابل فيما عرف في التاريخ اليهودي بالسبي البابلي.

- أن التوراة قد أعيدت كتابتها في السبي البابلي (عام ٥٤٥ ق.م) من طرف عزرا.

- أن إعادة الكتابة للتوراة من طرف عزرا كان من الذاكرة، وهذا أمر يستحق الوقوف عنده؛ لأنه يعد دليلا على أن التبديل في التوراة ممكنٌ.

- هناك سبب كافٍ جعل عزرا يقدم على تبديل التوراة وتحريفها، لا عن نسيان أو غفلة، بل عن قصد وسوء نية، وهو حبه للرئاسة الدينية على بني إسرائيل .

ولعلنا نلحظ من ذلك اعتماد الجويني على المنهج النفسي في تحليل النصوص الدينية ونقدها، وهو منهج حديث سبق غيره في تطبيقه. يؤكد ذلك بقوله عن عذرا: "فوقوع التبديل منه ممكن؛ لحرصه على استمرار رياسته ... ورياسة بني إسرائيل كان شأنها عظيماً".(١)

الجانب الثاني: النقد الداخلي لنصوص التوراة:

من المسائل التي استقى منها الجويني أدلته على وقوع التبديل في التوراة والإنجيل:

المسألة الأولى: مسألة عدم ورود اسم سيد المرسلين محمد ﷺ في نسخ التوراة والإنجيل.

١- شفاء الغليل،الجويني، ص٣٢.

من المعلوم أنه حينما يتعاضد دليلا النقل والعقل على إثبات أمر أو نفيه، يكون ذلك برهانا ساطعا على حجية الحكم بالإيجاب أو السلب، ويوصف ذلك التعاضُد بين الدليلين بأنه "نور على نور" (١) وهو ما يستشف من كلام الجويني على وقوع التبديل في التوراة والإنجيل، فيمكننا وضع كلامه على هيئة قياس منطقي مؤلَّف من مقدمتين مُسَلَّمٌ بهما، الأمر الذي ينتهي بنتيجة واجب التسليم بها، وهاتان المقدمتان، هما:

الأولى: ذكر القرآن الكريم أن التوراة والإنجيل ورد فيهما اسم سيد المرسلين محمد ﷺ . وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ (البقرة١٤٦) وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ (الأنعام٢٠). ولا يمكن أن تتأتى معرفتهم به ﷺ إلا بوقوفهم على ما ورد في توراتهم الصحيحة بشأنه ﷺ ، الأمر الذي يجعل تلك المعرفة به ﷺ مساوية تماما لمعرفتهم بأبنائهم، وهو ما عبرت عنه دقة الوصف القرآني.

الثانية : خُلو نصوص التوراة والإنجيل وقت نزول القرآن الكريم من ورود اسم سيد المرسلين محمد ﷺ

١- الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، وضع حواشيه/ عبد الله محمد الخليلي، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م، ص١٠.معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي، الناشر/ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢/ ١٩٧٥م،ص٥٨،٥٧.

فتكون النتيجة المترتبة على هاتين المقدمتين أن التوراة والإنجيل الموجودين لدى اليهود والنصارى قد بُدِّلا وحُرِّفا، وهو ما حاول إمامُ الحرمين الجويني إثباته والبرهنة عليه من خلال مصنفه (شفاء الغليل)؛ إذ يقول : "فقد نطق بالخبر اليقين صريح القرآن، مبينا :أن نصوص التوراة والإنجيل اشتملت على ذكر سيد المرسلين صلوات الله عليه. وهذا السبب: هو الحامل علماء الإسلام على القول بالتبديل".(١)

المسألة الثانية: المقارنة الداخلية بين نصوص التوراة العبرية(توراة اليهود) والتوراة المسماة بالتوراة السبعينية أو اليونانية(توراة النصارى).

من الأدلة التي يثبت من خلالها الجويني وقوع التبديل والتحريف في التوراة، عقد المقارنة بين نصوص التوراة العبرية(توراة اليهود) والتوراة المسماة بالتوراة السبعينية أو اليونانية(توراة النصارى). فنراه يسوق الأمثلة العديدة على ذلك(٢)، وهو ما يمكن بيانه من خلال الجدول الآتي :

م	التوراة العبرية(توراة اليهود)	التوراة السبعينية أو اليونانية(توراة النصارى)
١	عمر آدم لما ولد له شيث ١٣٠ سنة	عمر آدم لما ولد له شيث ٢٣٠ سنة
٢	عمر شيث لما ولد له أنوش ٦٠٠ سنة	عمر شيث لما ولد له أنوش ٧٠٠ سنة
٣	عمر أنوش لما ولد له قينان ٩٠ سنة	عمر أنوش لما ولد له قينان ١٩٠ سنة
٤	عمر قينان لما ولد له مَهْلَلْئِيل ٧٠ سنة	عمر قينان لما ولد له مَهْلَلْئِيل ١٧٠ سنة

١- شفاء الغليل،الجويني، ص٢٩.

٢- انظر بتصرف: المصدر السابق،ص ٣٣:٣٧.

٥	عمر مَهْلَلْئِيل لما ولد له يارد ٦٥سنة	عمر مَهْلَلْئِيل لما ولد له يارد ١٦٠سنة
٦	عمر يارد لما ولد له أخنوخ١٦٢سنة	عمر يارد لما ولد له أخنوخ ٢٦٢سنة(١)
٧	عمر أخنوخ لما ولد له مَتُوشَالَح ٦٥سنة	عمر أخنوخ لما ولد له مَتُوشَالَح ١٦٥سنة
٨	عاش شالح ٤٣٣سنة . وولد له عابر وعمره ٣٠سنة	عاش شالح ٤٦٠سنة . وولد له عابر وعمره ١٣٠سنة
٩	عمر عابر لما ولد له فَالَج ٣٤سنة	عمر عابر لما ولد له فَالَج ١٣٤سنة
١٠	عمر فَالَج لما ولد له رَعْو ٣٠سنة	عمر فَالَج لما ولد له رَعْو ١٣٠سنة
١١	عمر رَعْو لما ولد له سَرُوج ٣٢سنة	عمر رَعْو لما ولد له سَرُوج ١٣٢سنة
١٢	عمر سَرُوج لما ولد له نَاحُور ٣٠سنة	عمر سَرُوج لما ولد له نَاحُور ١٣٠سنة
١٣	عمر نَاحُور لما ولد له تَارَح ٢٩سنة	عمر نَاحُور لما ولد له تَارَح ٧٩سنة

ثم يخلص الجويني إلى أن هذا الاختلاف بين الطافتين في أمور كهذه هو دليل على وقوع التبديل، بل هو عين التبديل والتغيير ؛ فيقول: "فانظر إلى قبح هذا الاختلاف وغرابته بين هاتين الطائفتين في أمر ليس من قبيل المظنونات التي تختلف باختلاف مآخذ العلماء الناشئة عن اختلاف مراتب الظنون. بل كل طائفة تزعم أن

١- قام المحقق د/ أحمد حجازي السقا بتصويب ما أخطأ فيه الجويني، حينما ذهب إلى أن النسخ التي بأيدي اليهود والنصارى قد اتفقتا على عمر يارد حين ولد له أخنوخ. قائلا: والحقيقة أنهما لم تتفقا. انظر: هامش كتاب شفاء الغليل للجويني، ص٣٤.

ما بيدها هو المنزل على موسى عليه السلام. وهذا هو عين التبديل والتغيير".(١)

وختم الجويني حديثه عن أدلة وقوع التبديل في التوراة بدعوته إلى ضرورة عقد مقارنة أخرى، ولكن هذه المرة بين التوراة العبرية والتوراة السامرية، والتي ستكشف حسب رأيه التبديل من خلال الاختلاف الكبير بينهما؛ فيقول: "وأما مخالفة التوراة التي بيد السامرة، ومباينتها لسائر النسخ التي بأيدي من عداهم من الطوائف، فلو اقْتُصِرَ عليه لكان فيه ثبت، لمن يقول بوقوع التبديل".(٢)

وهو بذلك يفتح المجال واسعا أمام غيره من العلماء لعقد المقارنات بين نسخ التوراة التي بأيدي طوائف اليهود والنصارى، والتي من خلالها يمكن الوقوف على الكثير من الاختلافات الصارخة بينها، والتي لا تدع مجالا للشك أمام كل ذي عقل صريح إلى الاعتراف بوقوع التحريف والتبديل فيها، مما ينتفي مع ذلك القول بقدسيتها، في مقابل قدسية القرآن الكريم الثابتة له من خلال تنزيهه عما وقع في التوراة والإنجيل، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء ٨٢) .

١- شفاء الغليل،الجويني، ص٣٧.

٢- المصدر السابق، ص٣٧.

المبحث الثالث

منهج نقد النص للإنجيل عند أبي المعالي الجويني

وقبل أن نتتبع مراحل هذا المنهج عند الجويني، لابد أن نشير إلى أنه قد أعدَّ نفسَه جيدا لتطبيقه على نصوص الأناجيل الأربعة.والمتعمق في بنية المنهج الذي توخاه يلحظ تطابقا يكاد يكون تاما بينه وبين منهج النقد التاريخي، ولا يضيره بعد ذلك عدم استخدام المصطلحات الحديثة، لا سيما وأنه كان على وعي كامل بخطوات ذلك المنهج، وطريقة تطبيقها على المادة التي كانت بين يديه.

المطلب الأول

النقد الخارجي لنصوص الأناجيل

بداية يمكن القول: إن الجويني قد حدد لنفسه هدفا يرتكز على بيان تناقض مضمون هذه الأناجيل، وإظهار انقطاع سندها إلى السيد المسيح عليه السلام، وفي هذا تأكيد على تحريفها وكذبها، واستبعادها من دائرة الوحي الإلهي المعصوم.

فبعد أن عاش المسيح ما يقرب من ثلاثٍ وثلاثين سنة ثم فارق الحياة- حسب اعتقادهم -بعدها بعشرين عاما بدأ تسطير أولى الكتابات المسيحية، وكانت تلك رسائل بولس الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح، ثم أعقب ذلك فترة أخرى تقدر بنحو الخمسة عشر عاما ظهر بعدها أقدم الأناجيل وهو **إنجيل مرقس** الذي لم يكن أيضا من تلاميذ المسيح.(١)

١- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، م/ أحمد عبد الوهاب، الناشر/ مكتبة وهبة بالقاهرة، ط٢ / ١٩٨٨م، ص ٣٨ – ٣٩ .

ويذكر "ول ديورانت" نقلا عن بباس(papias): أن "مرقس" ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس، وقال: ويتفق الناقدون الثقاة بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل وفي تحديد تاريخه بين عامي ٦٥-٧٠ ميلادية.(١)

أما **إنجيل متى** فإنه ينسب إلى القديس "متىّ" وهو أحد تلامذة السيد المسيح ، وكان يهوديا يعمل عشارا ، يجبي الضرائب للحاكم الروماني كلوديوس، آمن بالمسيح عليه السلام واتبعه وترك وظيفته، وقد اختلف علماء النصارى في تاريخ كتابة انجيله فقيل إنه كتب ما بين ٦٠-٧٠ ميلادية يقول ول ديورانت:"ويعتقد إيرنيوس(Irenaeus) أنه كُتب في الأصل باللغة العبرية - أي الآرامية ، ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية ... وإن النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى، وليس من أقوال العشار نفسه، وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٧٥-٩٠ ميلادية".(٢)

وبناء عليه يتضح أن "متّى" كتب انجيلَه بالعبرية، وأن أصله لا يُعرف له وجود، والموجود هو ترجمته اليونانية فقط.

أما **إنجيل لوقا**:"فهو أصرح الأناجيل دلالة على أنه ليس من كتب الوحي؛

١- قصة الحضارة، ول وَايريْلديورَانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٨٨م، (قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية)م٣/ ج٣/ ١١، ص ٢٠٧-٢٠٨.

٢- المرجع السابق،م٣/ ج٣/ ١١، ٢٠٨.

وذلك لأنه يقول في افتتاحية الإصحاح الأول منه بأنه كتب إنجيله لصديق له يدعى ثاوفيلس:"إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به".(١)

وكفى بهذا الكلام دليلا على أن هذا الكتاب ليس من كتب الوحي، وإنما هو كتاب سيرة شأنه في ذلك شأن كتب السير ، ككتاب سيرة ابن هشام لدينا.

ويتضح من هذه المقدمة عدد من الأمور، نوجزها فيما يلي:

أولا:أن "لوقا" يكتب رسالة شخصية إلى صديق له، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالي حسب مزاج الشخص، وما يتوفر لها من إمكانيات الكتابة من وقت وصفاء ذهن، ومعلومات.

ثانيا:الواضح من المقدمة أن الدافع لكتابة هذا الإنجيل كان بدافع شخصي بحت، ولم يدع "لوقا" أن هذه المعلومات أتته عن طريق الإلهام، أو كان منقادا في كتابتها بتأثير الروح القدس، أو أنه كتبها لأنه وعاها من المسيح عليه السلام .

ثالثا:قرر "لوقا" وبصراحة تامة أن معلوماته قد جاءته باجتهاد شخصي؛ لأنه قد تتبع كلَّ شيء من الأول بتدقيق.

١- الكتاب المقدس (العهد الجديد)، انجيل لوقا، الإصحاح الأول ١:٤.

رابعا: ويعترف هنا "لوقا" أنه لم ير المسيح، ولم يكن من تلاميذه، لكنه كتب إنجيله إلى صديقه " ثاوفليس" بناء على ما وصله من الذين كانوا من حواري المسيح وكانوا في خدمته.

خامسا:وهو المهم إذ أنه يقرر أن هناك كثيرين ألفوا كتبا ودونوا قصصا في الأمور المتيقنة عندهم.

أما **إنجيل يوحنا** فيعتقد الكثيرون من علماء النصارى أنه "يوحنا"صاحب المسيح عليه السلام وأحد تلاميذه المقربين إليه.

إلا أن دائرة المعارف البريطانية وهي التي شارك في تأليفها أكثر من خمسمائة عالم من النصارى الغربيين لا تقول بهذا الرأي بل تذهب إلى القول: "أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب الممرور في متن الكتاب أنه من الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي – الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني – بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم

تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى".(١)

والواقع أن من لديه أدنى إلمام بتاريخ النصرانية يدرك اختلاف علماء المسيحية أنفسهم في تاريخ تدوين هذا الإنجيل، وأن المساحة التي تدور حولها آراؤهم ليست بالقليلة، ويحددها لنا أحد قساوستهم قائلا: "تتأرجح آراء العلماء بالنسبة لتاريخ كتابة الإنجيل(أي إنجيل يوحنا) ما بين قبل ٧٠إلى ما بعد١٦٠أو١٧٥ميلادية "(٢)

وبهذا يصبح تاريخ تدوين هذا الإنجيل مجهولا، وتحديده بالضبط أو حتى بالتقريب من المستحيلات، كالجهل بتحديد شخصية المؤلف تماما.

والذي ننتهي إليه أن الأناجيل الأربعة المختارة من طرف المجامع الكنسية من بين مئات الأناجيل مبتورة السند بعيسى عليه السلام وهذا ما بينه الجويني حيث ذكر أولا السبب الذي أدى إلى انقطاع السند وحدده بالغفلة عما كان يجب المبادرة إليه من تدوين ما سمعوه شفاها مما أدى إلى نسيان ما طريقه السمع والنقل، وهذا النسيان أدى بهم إلى التبديل، وفي هذا المعنى يقول الجويني:"والسبب الذي أوقعهم في الغلط فيما نقلوه:غفلتهم عما تجب المبادرة إليه أزمانا، يحصل في مثلها التبديل، والنسيان، لما طريقه السمع".(٣)

١- محاضرات في النصرانية، الشيخ/ محمد أبو زهرة، طبع ونشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ط٤/ ١٤٠٤ه، ص٦١.

٢- المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز،صدر عن/ دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ١٩٨٠م، ص٥٦٠ .

٣- شفاء الغليل للجويني، ص٣٨.

والحقيقة أن هذه الغفلة وعدم المبادرة بتدوين كلام السيد المسيح كتابيا مسلّم بها عند المسيحيين أنفسهم يقول صاحب معجم اللاهوت الكتابي: "أنه كان يعد السيد المسيح إنجيل شفاهي ينقل على الألسن، وبعد مدة طويلة دونت الأناجيل".(١)

ويقول -أيضا -وِل ديورانت: "ولا يَسَع الإنسان إلا أن يشك في هذه التفاصيل التي تناقلها الناس مشافهة في أغلب الظن، ثم دونوها بعد وقوعها بزمن طويل".(٢)

ويقول المفسر الإنجيلي الكبير "هورن" – في ذات السياق - حول الأناجيل:"الحالات التي وصلت إلينا – في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة- أبتر وغير معيَّنة لا توصلنا إلى أمر معيَّن، والمشايخ القدماء الأولون صدَّقوا الروايات الواهية وكتبوها،وقَبِلَ الذين جاؤوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذر تنقيدها (بمعنى نقدها وتنقيحها) بعد انقضاء المدة". (٣)

وكل هذا يؤكد ما انتهى إليه إمام الحرمين الجويني من ضياع سند الأناجيل.

١- معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة لجنة من كبار علماء النصارى، ط/ دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م،ص٨٧٢.

٢- قصة الحضارة، ول ديورانت، (قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية)م٣/ ج٣/ ١١، ص ٢٣٦.

٣- نقلا عن: إظهار الحق لرحمة الله الهندي، ج١/ ص ١٥٧.

المطلـــب الثانـــي

النقد الداخلي لنصوص الأناجيل

ذكر إمام الحرمين في كتابه "شفاء الغليل" عددا من النصوص الواردة في الأناجيل الأربعة لكنها مختلفة فيما بينها، بل متناقضة، وهذا يبين اختلاف مصدرها، وأنها ليست من كلام رب الأرباب جل وعلا. ومن هذه الاختلافات والتناقضات:

١ - تناقض متى ولوقا في نسب يوسف النجار:

أشار "إمام الحرمين" - منذ عشرة قرون خلت - إلى التناقض الصارخ الذي وقع فيه إنجيل "متى" و"لوقا" في ذكر نسب "يوسف النجار" خطيب مريم والدة المسيح، وهذه القضية التي أشار إليها الجويني منذ أمد بعيد لا زالت تحظى إلى الآن بالمصداقية؛ إذ اعتمدها علماء مقارنة الأديان في العصر الحالي من أجلِّ بيان تضارب الأناجيل، وفي هذا المعنى يقول المفكر المهتدي "موريس بوكاي":"فإن أنساب عيسى عليه السلام لدى كل من متى ولوقا مختلفة. فالتضاد بارز والاستحالة ظاهرة جدا بالنسبة للنظرة العلمية ... وإنه لواضح بأن متى الذي يخاطب اليهود يعود بنسب عيسى عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام مرورا بداود عليه السلام بينما يهتم "لوقا" الوثني الأصل والمهتدي إلى المسيحية، بإرجاعه إلى أقدم من إبراهيم عليه السلام وسنرى اعتبارا من داود عليه السلام بأن النسبين متضادان".(١)

١- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي، ترجمة/ الشيخ حسن خالد، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٣/ ١٩٩٠م، ص٨٩. وينظر أيضا: الفصل القيّم الذي كتبه فيه مؤلفه، وسماه أنساب المسيح، ص ١٠٧: ١٢٠.

ولعل أبرز الفروق بين الإنجيلين تتمثل فيما يأتي:

أ – ذكر متىّ نسب المسيح وتوقف عند إبراهيم عليه السلام. أما لوقا فقد أوصله إلى آدم، ولا يعنينا إنجيل متى في هذه الحيثية؛ لأنه هنا غير مقصود، ولكن المقصود هو لوقا؛ لأنه وحده هو الذي تفرد بالزيادة عن أجداد إبراهيم حتى آدم. وقد أحصى لوقا عشرين اسما، بينما لا يذكر العهد القديم منها سوى تسعة عشر(١) وذلك إذا اعتبرنا "العهد القديم" هو المصدر الذي استقى منه "لوقا" هذه الزيادة غير الموجودة في "إنجيل متى".

أما الإضافة التي أضافها لوقا فهي"خينام" ابن"أرفخشد" في حين لا نجد ذكرا لهذا الاسم في "سفر التكوين".

ب – أما إذا قارنا بين "متى" و"لوقا" في نسب إبراهيم حتى داود فإننا نجد أنهما يتفقان في العدد ويختلفان في بعض الأسماء كما نجد عند الجويني لكن الخطب في هذه المرحلة يسير كما يذهب الدكتور "موريس بوكاي" (٢)

ج – أما إذا قارنا في النسب بين الإنجيلين المذكورين آنفا في المرحلة اللاحقة أي من داود حتى عيسى –عليهما السلام– فإننا نجد أن النسب الذي يسوقه لوقا (٤٢) أما عند متى فإننا نجده (٢٧) فعدد أجداد عيسى عليه السلام(المفترضين) مختلف فيه

١– انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص ٥٣، ١١٣.

٢– انظر: المرجع السابق، ص ١١٧.

إذن فيما يسبق داود في كلا الإنجيلين، بل إن الأسماء نفسها مختلفة(١)، وهذا يدل بلا ريب أن مصادر الإنجيلين متباينة.

ولعل هذا ما قرره "إمام الحرمين" حينما ذكر أن الأخطاء بين الإنجيلين في الحساب والنسب جميعا لا مطمع للعقلاء في تصحيحه أو مدافعته.(٢)

ويبدو أن الجويني كان مطلعا أيضا حتى على تأويلات شرَّاح الإنجيلين لهذه القضية حتى لا يفسح مجالا لمعترض، فهو يذكر أن شرَّاح الأناجيل اعتذروا بأن متىّ أسقط من نسب يوسف آباء خَطَأَة لم يرد ذكرهم بل عدل عنهم لمكان خطيئتهم.(٣)

أما عن الاختلاف في الأسماء فيذكر "إمام الحرمين" أن الشراح اعتذروا أيضا بأن كل شخص من آباء يوسف كان له اسمان مترادفان، فذكر كل منهما اسما غير الذي ذكره صاحبه.ويردالجوينيعلى سخافاتهم هذه بقوله: هذا هذيان ...وهل لهذه الواقعة نظير في العالم ... أو شهادة كتاب من كتب اليهود المشتملة على تواريخ الأقدمين؟.(٤)

ولعل هذا ما كان ملحظا للعلامة الدكتور "موريس بوكاي" فقال: "ولعل

١- المرجع السابق، ص ١١٨.

٢- انظر: شفاء الغليل للجويني، ص٤٢-٤٣.

٣- انظر: المصدر السابق، ص٤٢.

٤- المصدر السابق ، ص٤٥-٤٦.

أنساب عيسى عليه السلام في الإنجيل هو الموضوع الأهم الذي أثار بهلوانيات الشرَّاح المسيحيين الفلسفية البارزة بنسبة تصرفات لوقا ومتى المستندة إلى الهوى"(١)

ولم يكتفِ "إمام الحرمين" بإبراز ذلك التباين بين إنجيلي لوقا ومتّى فحسب، بل تعدى ذلك ليبين أن الاختلاف واقعٌ أيضا بين إنجيلي لوقا ومرقس؛فيذكر على سبيل المثال لهذا التناقض بقصة إنكار بطرس؛ إذ قد ورد في إنجيل "مرقس":وقال لهم يسوع:"إن كلكم تشكون في في هذه الليلة، لأنه مكتوب: أني أضرب الراعي فتتبدد الخراف ... فقال له بطرس: وإن شك الجميع فأنا لا أشك. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم في هذه الليلة، قبل أن يصيح الديك مرتين، تنكرني ثلاث مرات"(٢)

أما ما ورد في إنجيل "لوقا" بصدد إنكار بطرس، ففيه: "فقال أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات إنك تعرفني ... فأخذوه و ساقوه و أدخلوه الى بيت رئيس الكهنة وأما بطرس فتبعه من بعيد . و لما أضرموا نارا في وسط الدار وجلسوا معا جلس بطرس بينهم . فرأته جارية جالسا عند النار فتفرست فيه وقالت و هذا كان معه . فأنكره قائلا لست اعرفه يا امرأة . وبعد قليل رآه آخر وقال وأنت منهم فقال بطرس يا إنسان لست أنا . ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلا بالحق أن هذا أيضا كان معه لأنه جليلي أيضا . فقال بطرس يا

١- التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم،موريس بوكاي، ص ١٢٠.

٢- الكتاب المقدس(العهد الجديد)، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٤، الفقرات: ٢٧-٢٩-٣٠.

إنسان لست أعرف ما تقول وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك . فالتفت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات . فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاء مرا.(١)

والمتأمل في الروايتين يرى أن بينهما تباينا واضحا؛ فإنجيل مرقس صرَّح بأن المسيح قال لبطرس: قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات.

أما لوقا فقد صرح بأن المسيح قال لبطرس: لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكرني ثلاث مرات إنك تعرفني ويعلّق "إمام الحرمين" على هذا التضارب مع أن الواقعة واحدة فيقول: "فمتى اتحدت نسبة كل خبرٍ، وتباينا: قُطِع بكذب إحداهما"(٢)

والواقع أن الكثير من الوقائع التي ذكرت في الأناجيل، جاءت مسرودة بشكل مختلف، يصل أحيانا إلى حد التعارض والتناقض، مما يؤكد أن كُتَّاب الأناجيل لم يكونوا معاينين لتلك الأحداث التي دونوها في كتبهم. من ذلك ما ذكره "متى": "ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين. قائلا لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتياني بهما. وإن قال لكما أحد شيئا فقولا الرب محتاج إليهما فللوقت يرسلهما. فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل. قولوا

١- الكتاب المقدس(العهد الجديد)، انجيل لوقا، الإصحاح ٢٢، الفقرات: ٣٤-٦٢:٥٤.

٢- شفاء الغليل للجويني، ص٤٨.

لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع. وأتيا بالأتان والجحش ووضعاعليهما ثيابهما فجلس عليهما (١)

وهذه القصة موجودة أيضا عند "مرقس" و"لوقا" ولكن بصيغة مختلفة عن رواية "متى" ففي رواية "مرقس"ما نصه: "ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجي وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه. وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه وأتيا به. وإن قال لكما أحد لماذا تفعلان هذا فقولا الرب محتاج اليه فللوقت يرسله إلى هنا. فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب خارجا على الطريق فحلاه. فقال لهما قوم من القيام هناك ماذا تفعلان تحلان الجحش. فقالا لهم كما أوصى يسوع فتركوهما. فأتيا بالجحش إلى يسوع و ألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه "(٢)

أما في إنجيل "يوحنا" فقد ورد الدخول إلى أورشليم بالشكل الآتي: "(وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آتٍ إلى أورشليم. فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه وكانوا يصرخون أوصنا مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل. ووجد يسوع جحشا فجلس عليه كما هو مكتوب. لا تخافي يا ابنة

١- الكتاب المقدس(العهد الجديد)إنجيل متى، الإصحاح ٢١، الفقرات: ١:٧.

٢- الكتاب المقدس(العهد الجديد)إنجيل مرقس، الإصحاح ١١، الفقرات١:٧. وينظر أيضا: إنجيل لوقا الإصحاح ١٩، الفقرات: ٢٨:٣٦.

صهيون هو ذا ملكك يأتي جالسا على جحش أتان. وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولا ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له".(١)

وبعد أن يلاحظ إمام الحرمين هذه التناقضات الصارخة في الأناجيل في رواية واقعة واحدة متحدة في الزمان والمكان، يقرر صراحة وبلا مواربة أن هذا دليل على كذب أحد النصوص ثم يعلق ساخرا:"فأعجب من هذه الواقعة المتحدة نسبتها، كيف تباينت معانيها، واختلفت حكايتها؟وأعجب من ذلك:غفلتهم عن هذه النصوص وأمثالها، وركونهم إلى أن جميعها جارٍ على السداد حتى لو تفوَّه أحدٌ منهم بما يوهم خللًا في معانيها حكموا بسخافة عقله!!" (٢)

والواقع أن في كل واحد من الأناجيل الأربعة عدداً مهماً من الروايات، تقص أحداثا يمكن أن تكون خاصة به، أو مشتركة بين عدد من الأناجيل أو بينها كلها وما يختص به إنجيل قد يطرح أحيانا مسائل جدّية. وبخاصة إذا كان الحادث ذا أهمية كبيرة؛ إذ من المدهش أن يتكلم عنه إنجيل بمفرده ،كمثل ذلك الحادث الغريب الذي تفرد "متىّ" بذكره، ولم يتعرض له أحد من المؤرخين بعده وهذا الانفراد دليل ولاشك على وضع الخبر أوهي من اختراع وادعاء كاتب إنجيل "متَّى" وما ذلك إلا لسببين:

١- الكتاب المقدس(العهد الجديد)، إنجيل يوحنا الإصحاح ١٢، الفقرات: ١٢-١٦.

٢- شفاء الغليل للجويني، ص٥٠.

أولهما: أنه من الخوارق.

وثانيهما: أنه يتعلق بالمسيح، والأناجيل، وكما هو معلوم كلها تدور حول حياة المسيح عليه السلام .

ويذكر إنجيل متىّ أن المسيح حين صُلب وأسلم الروح: "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت. والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين"(١)

ويؤكد "إمام الحرمين" أن هذه الرواية تفرد بها متىّ دون غيره مع أهميتها وغرابتها وهنا يطرح الإمام تساؤلا جديا حولها فيقول: " وهذه القصة المُبْدَعَة في الغرابة، لو وقعت على حد ما وصفها:لكانت من الخوارق والغرائب التي تتوافر الدواعي على نقلها، ويحيط بها علما: كل قاصٍ ودانٍ، ويلهج بحكايتها، والخوض في حديثها: من لم يؤهِّل نفسه لضبط وقائع المسيح عليه السلام وتقييد قصصه. فكيف ينْبُذُ مثل هذه الغريبة المُبْدَعَة في الغرابة ظِهْرِيًّا : من انتصب لتقييد إخباره عليه السلام، ومحاسن غرائبه؟!".(٢)

ومن هنا ينتهي الجويني إلى تقرير إما "كذب متىّ أو تخلّف أصحابه الثلاثة لأنهم أهملوا ذكر هذه الغريبة نسيانا. فهم جديرون بالتخلف لبعد ذلك عادة. وإن

١- الكتاب المقدس(العهد الجديد)، إنجيل متى، الإصحاح ٢٧، الفقرات: ٥١:٥٣

٢- شفاء الغليل للجويني، ص٥٢-٥٣.

ادَّعَوْا عدم العلم فأَبْعَدُ؛ لأن مثل هذه الخارقة الغريبة لو وقعت لتعلق بها أهل ذلك الإقليم، قاصيهم، ودانيهم، بل أقول: لا بل عَلِمَ سائر أهل الأقاليم"(١)

والحقيقة أن تفصيل تناقضات الأناجيل من أولها إلى آخرها يحتاج إلى مجلدات كثيرة ربما لا تفي حياة الجويني بذلك كله، ولذلك نرى "إمام الحرمين" يهتم ببيان تناقضات هذه الأناجيل في تحقيق نسب المسيح كما يهتم باختلافهم في حادثة صلب المسيح عليه السلام ليترك للقارئ الفطن فرصة فهم التناقضات الأخرى بالقياس على المبدأ و المنتهى.

وبذلك يفهم كل ما فيها من تناقض واختلاف.

٢- تناقض الأناجيل في رواية آلام المسيح:

وإذا كانت الأناجيل مختلفة في نسب المسيح كما بيَّن "إمام الحرمين" فإنها أشد اختلافا في حادثة صلبه، وهي أس العقيدة التي تدور عليها رحى الديانة النصرانية.

ومن المفروض عقليا أن تلاميذ المسيح عليه السلام الذين شاهدوا حادثة الصلب بأم أعينهم وهي حادثة مروعة وخطب جسيم بلا شك، أن يتحدوا في رواية آلام المسيح، ولكن من الغريب حقا أن نجد اختلافهم في نقلها وهذا بلا ريب دليل على اشتباه أو كذب بعضهم، وهذا الاحتمال كافٍ في عدم اعتبارها جميعا؛ لأن اعتبار البعض دون البعض ترجيح بلا مرجح، فلابد أن تسقط من الاعتبار.

١- المصدر السابق، ص ٥٣.

ويذكر "إمام الحرمين" أن "متىّ"و"مرقس" يقرران أن اللصين اللذين صُلِبا مع المسيح كانا يعيرانه. فمتى يقول: "وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه" (١)، ولفظ "مرقس" "واللذان صُلِبا معه كانا يعيرانه".(٢)

وفي "لوقا"– نجد خلافَ ذلك؛ إذ لم يقع التعيير إلا من واحد دون الآخر – : "وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا:إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه. أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله. ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس".(٣)

ومثل هذه التناقضات الجليّة للعيان جعلت الجويني يقول:"صرح صاحب هذا الكلام لوقا في إنجيله أن اللّصين اللذين صلبا معه كان أحدهما مؤمنا به عطوفا عليه،والآخر سابًّا له، مستهزئاً به. وسبق تصريح متىّ ومرقس كليهما: أن اللصين كانا كافرين به، سابَّين له، كل منهما ساخر منه، والواقعة واحدة والكلام عليهما كالكلام على نظائرها السالفة سواء. ولا شك في تكاذب هذه الوقائع، وأن قائليها طالت عليهم الأزمان إلى أن يقولوا أشياء ليسوا منها على يقين".(٤)

١- الكتاب المقدس(العهد الجديد)، إنجيل متى، الإصحاح ٢٧، الفقرة٤٤.

٢- الكتاب المقدس(العهد الجديد)، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٥، من الفقرة٣٢.

٣- الكتاب المقدس(العهد الجديد)، إنجيل لوقا ، الإصحاح ٢٣، الفقرات: ٣٩:٤٣.

٤- شفاء الغليل للجويني، ص٥٢.

وهكذا يظهر أن الأناجيل لم تكتب بتأثير "روح القدس" كما يزعم النصارى، وإلا لما لاحظنا هذا الاختلاف الكبير بينها في أعظم حادثة في حياة المسيح عليه السلام بل في حياة حواريه وتلاميذه، وهذا ما أكده الجويني بقوله: "وأما دعوى النسيان والغلط: فإن رجال الأناجيل عندهم مُنَزَّهُون عن ذلك، فإنهم جازمون بعصمتهم، وأن روح القدس لمّا حلَّتْ عليهم أَوْجَبَتْ لهم العصمة".(١)

والحقيقة أن كتاب "شفاء الغليل" يظهر مدى دراية "الجويني" العميقة بالأناجيل سندا ومحتوى مما يدفعنا إلى الاعتقاد –بل هذا ما تم فعلا– أن لهذه الرسالة صدًى عميقا فيما كُتِب بعدها في حقل الجدل الديني ضد اليهود والنصارى. استفاد منها كل من جاء بعده،لاسيما الغزالي في كتابه "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل" والقرافي في كتابه: "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة" ورحمة الله الهندي في كتابه "إظهار الحق".

١- المصدر السابق، ص٥٤.

الخاتمة

انتهت الدراسة – بفضلٍ من الله تعالى– إلى عدد من النتائج، منها:

أولا: ينبغي التفرقة بين التوراة – موضوع البحث، التي دخلها التحريف والتبديل – والتوراة الربانية التي أُرسل بها موسى عليه السلام، التي وصفها ربُّنا عز وجل بأنها" الضياء والنور، والهدى والرشاد، والفرقان والبركة، وهي التي فيها أحكام الله لبني إسرائيل، وهي -كذلك - التي حكم بها النبيون اليهودَ ونفذوا أحكامَها فيهم.

ثانيا: أن التوراة قد مرت بتدوينات مختلفة، أثرت على لغتها وحجمها ومضمونها، بحسب الظروف والأحوال.

ثالثا: أن القول بعبرية اللسان الموسوي أمرٌ ليس يقينيا،ولعل الاحتمال الراجح أن لغة التوراة في عهد موسى عليه السلام كانت مصرية (أي الهيروغليفية).

رابعا: أنه بالنظر إلى مراحل تدوين التوراة يتضح أن التوراة الحالية هي نتاج عمل بشري قام به أحبار اليهود وبعض علمائهم، معتمدين في غالب الأمر على مصادر شفهية تناقلوها وتوارثوها بينهم زمنا طويلا. فضلا عما تطمح إليه نفوسهم من حب الرئاسة والتنازع على شهوات الدنيا.

خامسا: أنه بالظر في مناهج البحث الحديثة يلاحظ أن نقد النصوص يندرج في إطار البحث التاريخي، ولقد توصل المسلمون إلى كل ما توصل إليه علماء مناهج البحث التاريخي من نقد النصوص داخليا وخارجيا، كما عرفوا طرق

التحليل والتركيب التاريخية، وفحص الوثائق، ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف.

سادسا: أن جهودَ إمام الحرمين الجويني في تطبيق منهج نقد النص على نصوص التوراة والأناجيل قد سُبِقَت بجهود غيره من علماء مسلمين كابن حزم الأندلسي، الذي يعد بحق رائد الدراسات النقدية للتوراة، وقد استفاد كلاهما من القرآن الكريم الذي أتى بنظريتين أساسيتين وهاتان النظريتين: أحدهما نظرية التحريف والتبديل. والأخرى نظرية تعدد المصادر؛ فكانت هاتان النظريتان عمادَ النقد الإسلامي، وأصبحتا فيما بعد عماد النقد الغربي في عصريه الوسيط والحديث.

سابعا: أن كتاب (شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل)لإمام الحرمين الجوينييأتي شاهدا على نجاحه في تطبيق منهج نقد النص الديني، وهذا الكتاب يمكن إدراجه -كذلك - ضمن فن الردود أو علم الردود، وهو منهج كلامي في رد شبه الخصوم من أتباع الأديان الأخرى، وأيضا إثارة شبه حول عقائدهم وكتبهم، وما وقع فيها من تحريف وتبديل.

ثامنا: أن الجويني بكتابه شفاء الغليل قد تناول مسألة إثبات التبديل والتحريف في كتب اليهود (التوراة) وكتب النصارى (الأناجيل). وذلك بحجج وأدلة تعتمد من جانب على نصوصهم التي يقدسونها، ومن جانب آخر على منطق العقل الصريح.

تاسعا: أن الجويني قد اعتمد المنهج النفسي في تحليل النصوص الدينية ونقدها، وهو منهج حديث سبق غيرَه في تطبيقه.

عاشرا: من الأدلة التي أثبت من خلالها الجويني وقوع التبديل والتحريف في التوراة، عقدُ المقارنات بين نصوص التوراة العبرية(توراة اليهود) والتوراة المسماة بالتوراة السبعينية أو اليونانية(توراة النصارى). ما سمح له بالوقوف على العديد من الاختلافات بينهما، لاسيما ما كان منها متصلا بالأرقام الحسابية؛ لأن الغالط في الحساب لا يقدر على المدافعة.

حادي عشر: ارتكز منهج الجويني في نقد نصوص الأناجيل على بيان تناقض مضمونها من جانب، وهو ما يعرف بالنقد الداخلي، وإظهار انقطاع سندها إلى السيد المسيح عليه السلام من جانب آخر، وهو ما يعرف بالنقد الخارجي؛ كل ذلك بهدف تأكيد تحريفها وتبديلها.

ثاني عشر: أن كتاب شفاء الغليل للإمام الجويني قد فتح باب البحث واسعا أمام بيان تناقضات أخرى بين نسخ التوراة بعضها البعض. وكذلك بين الأناجيل المختلفة؛ لإثبات ما وقع فيها من التبديل والتحريف.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم) .

٢- الكتاب المقدس(عند اليهود والنصارى) ، ويشمل العهدين: القديم والجديد .

❖ **المصادر:**

قمت بترتيب المصادر والمراجع- حسب اسم المؤلَّف - ترتيبا ألفبائيا مع عدم الأخذ في الاعتبار بـ(أب ، ابن ، ال)

١- إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبع ونشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١/ ١٩٨٩م.

٢- الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي(أبو حامد ت/ ٥٠٥ه)، وضع حواشيه/ عبد الله محمد الخليلي، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤م.

٣- الأنساب، للسمعاني (عبد الكريم)، تحقيق:عبد الرحمن بن المعلمي اليماني وآخرين، الناشر/ دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد الدكن بالهند، ط ١/ ١٩٧٧م .

٤- بد العارف، لابن سبعين، تحقيق وتقديم: د/ جورج كتورة، ط/ الأندلس، بيروت، ط١/ ١٩٧٨م.

٥- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر، ط/ دار الفكر بدمشق،ط٢/ ١٣٩٩ه.

٦- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لأبي الطيب الباخرزي (علي بن الحسن بن علي ت/ ٤٦٧هـ)، تحقيق ودراسة: د/ محمد ألتونجي، الناشر/ دار الجيل، بيروت، ط١/ ١٩٩٣م.

٧- سير أعلام النبلاء، للذهبي (شمس الدين)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد نعيم العرقسوسي، ط/ دار الرسالة،بيروت،ط١١/ ١٩٩٦م.

٨- شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير بدمشق، ط١/ ١٩٨٩م .

٩- شرح الإرشاد، لأبي بكر بن ميمون، تحقيق:د/ أحمد حجازي السقا، الناشر/ مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط١/ ١٩٨٧م.

١٠- شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، للجويني(أبو المعالي ت/ ٤٧٨ه)، تقديم وتحقيق وتعليق:د/ أحمد حجازي السقا، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، ١٩٧٨م.

١١- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، صححه وعلق عليه واعتنى بفهارسه: د/ الحافظ عبد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط١/ ١٩٧٨م.

١٢- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي(تاج الدين)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٣- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للغزالي(أبو حامد ت/ ٥٠٥ه)،

الناشر/ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢/ ١٩٧٥م.

١٤- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط/ دار صادر، بيروت،ط١/ ١٩٨٤م.

١٥- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، ط دار الفكر، بيروت.

❖ **المراجع:**

١- أبحاث في اليهودية والصهيونية، للدكتور/ أحمد سوسة، دار الأمل للنشر والتوزيع بالأردن، ٢٠٠٣م.

٢- إسهامات المسلمين في تطور حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب(ابن حزم نموذجا)، للدكتور/ يوسف الكلَّام، مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرةبجدة (العدد الثاني – السنة الأولى – سبتمبر ٢٠١٠م).

٣- أصول الصهيونية في الدين اليهودي، للدكتور/ إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة بالقاهرة،١٩٨٨م .

٤- الإمام الجويني إمام الحرمين للدكتور/ محمد الزحيلي، (سلسلة أعلام المسلمين، عدد٢٦)، الناشر،دار القلم بدمشق،ط٢/ ١٩٩٢م.

٥- إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، للدكتور/ عبد العظيم الديب، الناشر/ دار القلم،الكويت،ط١/ ١٩٨١م.

٦- تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس(دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي)، للدكتور/ يوسف الكلَّام، دار صفحات للدراسات والنشر بدمشق، ط١/ ٢٠٠٩م.

٧- التوراة (ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام) ، تحقيق وتقديم د/ سهيل زكار، دار قتيبة للنشر والتوزيع بدمشق ، ط١/ ٢٠٠٧م.

٨- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، للدكتور/ موريس بوكاي، ترجمة/ الشيخ حسن خالد، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٣/ ١٩٩٠م.

٩- الجويني إمام الحرمين للدكتورة/ فوقية حسين محمود، (سلسلة أعلام العرب، عدد٤٠)، وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة،ط١/ ١٩٦٥م.

١٠- حديث القرآن عن التوراة، للدكتور/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم للنشر والتوزيع بالأردن، ط١/ ٢٠٠٤م.

١١- ابن حزم الأندلسيرائد الدراسات النقدية للتوراة،للدكتور/ إبراهيم أحمد الديبو، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٣- العدد الثاني، ٢٠٠٧م.

١٢- حقيقة السبي البابلي(الحملات الأشورية على الجزيرة العربية واليمن) للدكتور/ فاضل الربيعي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع بالكويت، ط٢/ ٢٠١٣م.

١٣- حول موثوقية الأناجيل والتوراة، للدكتور/ محمد السعدي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ١٩٨٦م.

١٤- الساميون ولغاتهم السامية، للدكتور/ حسن ظاظا، ط/ دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.

١٥- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، للدكتور/ عبد الرحمن حسن

حبنكة الميداني، الناشر/ دار القلم بدمشق، ط٤/ ١٩٩٣م.

١٦- ظاهرة النبوة الإسرائيلية، للدكتور/ محمد خليفة حسن أحمد، دار رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط١/ ٢٠١٧م

١٧- العرب واليهود في التاريخ(حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية)،للدكتور/ أحمد سوسة، العربي للإعلان والنشر والطباعة بدمشق، ط٢/ ١٩٧٣م.

١٨- علاقة الإسلام باليهودية(رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)، للدكتور/ محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة ، ١٩٨٨م.

١٩- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، للدكتور/ حسن ظاظا، دار القلم بدمشق،ط٤/ ١٩٩٩م .

٢٠- قصة الحضارة (قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية) م٣/ ج٣/ ١١، لول وَايريْلديورَانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٨٨م.

٢١- محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، طبع ونشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ط٤/ ١٤٠٤ه.

٢٢- المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، للدكتور/ عبد الرزاق محمد أسود، دار صفحات الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١/ ١٩٨١م.

٢٣- المدخل إلى العهد الجديد، القس/ فهيم عزيز، صدر عن/ دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ١٩٨٠م .

٢٤- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مهندس/ أحمد عبد الوهاب، الناشر/ مكتبة وهبة بالقاهرة،ط٢/ ١٩٨٨م.

٢٥- المعتقدات الدينية لدى الغرب، للدكتور/ عبد الراضي محمد عبد المحسن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ط١/ ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢٦- معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة لجنة من كبار علماء النصارى، ط / دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٧- مناهج البحث عند مفكري الإسلام، للدكتور/ علي سامي النشار، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣/ ١٩٨٤م.

٢٨- مناهج نقد العهد القديم عند الغرب (النقد المصدري أنموذجا)، للدكتورة / أسماء وردي ، دار صفحات للدراسات والنشر بدمشق، ط١/ ٢٠١٦م.

٢٩- منهج النقد التاريخي عند ابن حزم (نموذج من نقد توراة اليهود)، د/ حامد طاهر، بدون بيانات الطبعة.

٣٠- منهج نقد النص بين ابن حزم واسبينوزا ، للدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر/ دار الفكر العربي بالقاهرة ، بدون تاريخ.

٣١- ندوة التراث والتوراة،مداخلة للدكتور/ محمد محفل، (مجلة المعرفة –

عدد ٢٦٥)، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد بالجمهورية العربية السوريا، السنة الثالثة والعشرون، مارس ١٩٨٤م.

٣٢- اليهودية بين النظرية والتطبيق(مقتطفات من التلمود والتوراة)، للدكتور/ علي خليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ١٩٩٧م.